

الصُّلَحِيَّونَ و آثارهم المعمارية في اليَمَنِ

فاطمة جان احمدي¹

شهدت بلاد اليمن خلال عصر الدولة الصُّلَحِيَّة (٤٣٩-٥٣٢ هـ/١٠٤٧-١١٣٧م) نهضة حضارية عظيمة، إذ إهتم الصُّلَحِيَّونَ إهتماماً عظيماً بالاعمار و البناء و ظهر ذلك على صنعاء عاصمة الدولة الصُّلَحِيَّة وسائر المدن اليمنية الهامة كذي جبلة وتعكر وارب. لقد اهتم الصُّلَحِيَّونَ بتعمير و ترميم و اصلاح و انشاء المدن و تشييد العمائر الدينية و الحربية على الاساس سياستهم الراقية الى اصلاح اليمن عامة. لهذا السبب يتميز هذا العصر بكثرة المساجد و الاماكن الدينية الجميلة و المعالم العظيمة و ما ينسب للبناء الصُّلَحِي من فضل في عمارة المساجد في اليمن هو إدخاله العناصر المتعددة و التقاليد الجديدة في بناء المساجد المتمثلة في عنصر اخراب كقطعة فنية جميلة او البلاطة الوسطى و المآذن المزخرفة البديعة.

الكلمات الرئيسية: الصُّلَحِيَّونَ، اليمن، صنعاء، العمارة

المقدمة

ازدهرت الحضارة في اليمن خلال العصور المتعاقبة قبل العصر الاسلامي. و بانتشار الاسلام كانت اليمن في مقدمة البلاد الاسلامية التي دخلت قبائلها افواجا في هذه الدين الجديد، و من ثم شاركت في نشر الاسلام من خلال الفتوحات الاسلامية مشاركة واضحة و قوية. انقادت اليمن للدولة الاسلامية منذ بدايتها في عصر النبوة (ص) و عصر الخلفاء الراشدين (١١-٤٠ هـ/٦٣٢-٦٦١م) حتى العصر العباسي الاول حيث قامت الدويلات المستقلة تحكم اليمن و منها الدولة الزيدية و الدولة اليعفرية و الدولة الاسماعيلية الاولى^٢. في نصف الثاني من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، خرجت بلاد اليمن من حكم العباسيين بسبب نجاح الدعوة

الاسماعيلية التي تنسب إلى اسماعيل بن جعفر بن موسى الكاظم و هي الدعوة التي بدأت منذ عام ٢٦٦ هـ/٨٧٩م، يرجع الفضل في نجاح هذه الدعوة و تأسيس الدولة الإسماعيلية الأولى إلى الداعي ابوالقاسم حسن بن فرج بن حوشب (٣٠٣ هـ/٩١٥م) المعروف بمنصور اليمن والداعي علي بن فضل (٣٠٢ هـ/٩١٤م).^٣ و كان لابن حوشب الاثر الكبير في بقاء الاسماعيلية في قلوب اهل اليمن، لانه كان قدوة حسنة للذين اعتنقوا المذهب الاسماعيلي. بعد موت علي بن فضل و ابن حوشب انتهت الدولة الاسماعيلية الأولى و خف ضوء الدعوة في اليمن مع وفاتها و تحولت من العلانية و القوة الى العمل السري للحفاظ على ما تبقى من أمر

٣. تقى الدين احمد بن علي المقرئ، اعطاء الحنفاء باخبار الائمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق محمد حلمي محمد احمد، القاهرة، ١٩٧١، ج١، ص ٥١. احمد بن علي بن القلقشندي، صبح الاعشى، شرحه و علق عليه و قابل نصوصه نبيل خالد الخطيب، بيروت لبنان، دارالكتاب العلمي، ١٩٨٧، ج١٣، ص ٢٣٣.

١. عضو الهيئة التعليمية قسم التاريخ بجامعة الزهراء، طهران، ايران
٢. عصام الدين عبدالرؤف: اليمن في ظل الاسلام منذ فجره حتى قيام دولة بني رسول، دارالفكر العربي، ١٩٨٣، صص ٤٥-٤٠.

فترة قصيرة من القضاء على كل من الدولة النجاشية في زبيد و الزيدية في شمال البلاد مسيطراً بذلك على معظم اليمن، فكان الصُّلَحِيَّي في الوقت نفسه، سلطاناً و داعياً أي أنه كان على رأس كل من الدولة و الدعوة في اليمن.

بدأ تقلص النفوذ الصُّلَحِيَّي مع اغتيال الداعي علي بن محمد على يد سعيد الاحوال النجاشي^٨ (ت ٤٦١هـ/١٠٦٨م) و قيام الزيدية و عدد من السلاطين المحليين في سائر أرجاء اليمن، فواجه المكرم احمد بن علي مصائب حمة في بداية حكمه فقضى السنين الاولى محاولاً إخضاع من ثار ضد دولته. ثم إن المكرم فوّض الامور إلى زوجه الحرّة الملكة الصُّلَحِيَّة و اسمها سيدة بنت احمد بن جعفر الصُّلَحِيَّي.

حكمت الملكة الحرّة في اليمن حتى وفاتها مدة خمس و خمسون عاماً، و قد لعبت دوراً أساسياً في اطالة حياة دولتها رغم المصائب التي واجهتها. نقلت عاصمة الصُّلَحِيَّي من صنعاء إلى ذى جبلة في اليمن الجنوبي فتخلصت بذلك من الخطر الزيدي.

استمرت العلاقات جيدة بين مصر و اليمن في عهد الملكة الحرّة. فبعد وفاة الإمام المستنصر بالله (سنة ٤٨٧ هـ) شب نزاع في مصر بين نزار و مستعلي. و ما كان من السيدة الملكة الحرّة إلا أن اعلنت ولاءها للإمام المستعلي. استمر الحال على هذا المنوال حتى وفاة الامام الأمر بالله سنة ٤٩٤ هـ و استيلا و ابن عمه عبدالمجيد الحافظ (ت ٥٤٤ هـ) على الحكم مما دفع ابنه الامام الطيب، و كان مازال طفلاً إلى الدخول في الستر خوفاً على حياته. فما كان من السيدة إلا ان اعلنت ولائها للإمام المستور قاطعة بذلك كل علاقاتها مع مصر الفاطمية. فانتشرت بذلك الدعوة الطيبية في اليمن و الهند و السند. توفيت الحرّة بذي جبلة سنة اثنتين و ثلاثين و خمسمائة و دُفِنَت في المسجد الذي أنشأته بذي جبلة في غربي المقدم.

و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوى السلطان، بيروت، دارالكتب العلمية، ١٩٩٢، ج ٤، ص ٢٦٧؛ و ابوالعباس شمس الدين احمد بن محمد ابي بكر بن خلكان، وفيات الاعيان و انباء انباء الزمان، بيروت، دار صادر، بلا تاريخ، ج ٣، ص ٤١٢.

٨. عمارة، تاريخ اليمن، ص ١٠٥ و قرة العيون، ص ١٨٢ و المقریزی، اتعاظ الحنفاء، ج ٣، ص ٢٥ و ابوالفداء الحافظ بن كثير، البداية و النهاية و معه نهاية البداية و النهاية في الفتن و الملاحم، تحقيق و توثيق صدقي حمل العطار، بيروت، دارالفكر

الحركة الاسماعيلية^١ في خلال هذه الفترة تعاقب الدعاة الاسماعيليون على شؤون الدعوة حتى انتقلت الدعوة إلى رجلٍ يسمى سليمان بن عبدالله الزواحي^٢ فدعى إلى الحاكم و الظاهر و المستنصر و المستعلي و كان كثير المال و الجاه^٣ فلما احتضر استخلف علي بن محمد الصُّلَحِيَّي^٤ مؤسس الدولة الاسماعيلية الثانية في اليمن (٤٣٩-٤٥٩ هـ/١٠٤٧-١٠٦٦م) و هي الدولة التي عرفت بالصُّلَحِيَّة^٥.

يعد علي بن محمد الصُّلَحِيَّي من اعظم الشخصيات التي ظهرت على ساحة اليمن رغم كل الصعاب التي واجهته في بداية حكمه نتيجة الاحوال السيئة في هذه البلاد.

و لم يزل شأنه يظهر شيئاً فشيئاً حتى اعلن الثورة في جبل مسار و وصل الشيعة من أنحاء اليمن و جمعوا له الاموال الجزيلة و اظهر الدعاء إلى المستنصر بالله الخليفة الفاطمي. بمصر ثم سار إلى صنعاء فملكها^٦ و خضعت اليمن لحكمه و سيطرته و الحق ان الصُّلَحِيَّي - رغم ديانتة الاسماعيلية - لم يجبر اهل اليمن على التزام بمادى مذهبه بل ترك حرية الانتخاب لاهلها دونما اجبار أو اكراه و إرغام.

في سنة ثلاث و خمسين و اربعمائة كتب علي بن محمد الصُّلَحِيَّي إلى المستنصر الفاطمي يستأذنه في اظهار الدعوة و وجه إليه هدية جليلة منها سبعون سيفاً قوائمها من عقيق. فقبل المستنصر هديته و أمر له برايات و كتب عليها الالقاب و عقد له الولاية و أذن له في نشر الدعوة^٧. و تمكن الداعي الصُّلَحِيَّي في

١. انظر: سيف الدين القصير: ابن حوشب و الحركة الفاطمية في اليمن، دمشق: دارالينابيع، ١٩٩٤.
٢. الزواحي قرية من اعمال حراز و حراز احد مخاليف اليمن الكبير الواقعة في غرب صنعاء و من جبال السراة، قرة العيون باخبار اليمن الميمون، ص ١٤٤.
٣. بحجة الزمن، ص ٧٤.
٤. قرة العيون باخبار اليمن الميمون، ص ١٥٧.
٥. عمارة اليمني ذكر ان الصُّلَحِيَّي ثار في عام ٤٢٩ هـ/١٠٣٧م و كان معه يومئذ ستون رجلاً نجم الدين عمارة بن علي اليمني: تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء و زبيد و شعراء ملوكها و اعيانها و ادبائها، تحقيق القاضي محمد علي الأكواع، نشر مطبعة السعادة ١٣٩٩، صص ١٠١-١٠٣.
٦. قرة العيون باخبار اليمن الميمون، ص ١٧٤.
٧. انظر: عبدالرحمن ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر و ديوان المبتدا

فملكها".^٤

و يذكر على الديبع: "و إستقر في صنعاء و اخذ معه ملوك اليمن الذين أزال ملكهم وأسكنهم معه و اختط بصنعاء عدة قصور".^٥

و هذا الامر يدل على إصرار الصليحي للسيطرة على صنعاء و اختياره إياها عاصمة لدولته و استقراره فيها، مما كان له الاثر الكبير في ازدياد نفوذه في اليمن نظراً لأهميتها كأهم مدينة في اليمن و لموقعها الجغرافي الفريد.^٦

و عمّا كانت عليه صنعاء قبل مجيء الملك علي بن محمد الصليحي من سوء الحال يقول المؤرخ الرازي (ت ٤٦٠ هـ/١٠٦٨م): "و قد خربت صنعاء و عادت و هي اليوم خراب، و أرجو أن الله تعالى يعمرها بالصالحين من عباده".^٧

و يبين لنا هذا النص ما كانت عليه صنعاء من خراب نتيجة الاحوال السياسية المتردية التي كانت عليها بلاد اليمن قبل قيام علي بن محمد الصليحي و قد أثرت هذه الاحوال المتردية سلباً علي العمارة الدينية بوجه خاص و المرافق على اختلاف أنواعها فأهملت المساجد إهمالاً شديداً و خربت المرافق و من هنا كان اهتمام الدولة الصليحية موجهة للعناية بمدينة صنعاء، فعندما إستقر الأمر للصليحيين شرع قادة هذه الدولة في توطيد الأمن لتحقيق الاستقرار و بالتالي البدء في حركة عمران كبيرة شملت العناية بالمساجد من ترميم و إصلاح و تجديد و إقامة للمرافق.^٨

و الواقع أن ما كتبه المؤرخ الرازي في القرن الخامس الهجري، ذواهيته بالغه؛ إذ إنه عاصر فترة ما قبل الداعي علي بن محمد الصليحي و كان على دراية كبيرة بأمر صنعاء.

هذا و قد ظل الداعي علي بن محمد الصليحي يحكم اليمن و صنعاء عشرين عاماً و أنهت حياته بمقتله في مدينة المهجم عام

صنعاء حاضرة للدولة الصليحية

شهدت بلاد اليمن خلال عصر الدولة الصليحية (٤٣٩-٥٣٢هـ/١٠٤٧-١١٣٧م) نهضة حضارية عظيمة، إذ إهتم الصليحيون إهتماماً عظيماً بالاعمار و البناء و ظهر ذلك على صنعاء عاصمة الدولة الصليحية و ساير المدن اليمنية الهامة كذي جبلة و تعكر و إيب.

لقد اهتم الصليحيون بتشديد المدن على أساس سياستهم الراقية الى اصلاح اليمن عامة. بدأها الداعي علي بن محمد الصليحي عند سيطرته على اليمن كله سهله و وعره و برّه و بحره، فلم يشأ الداعي علي بن محمد الصليحي إنشاء مدينة جديدة تكون حاضرة لدولته و لكنه اتخذ صنعاء حاضرة له و قد كان اختيارهم انذاك عن معرفته بأحوال اليمن وإدراكه التام لأهميتها الخاصة بين المدن اليمنية و التي يصفها الهمداني في تاريخه: "صنعاء هي ام اليمن و قطبها و فيها لانها في الوسط منها".^٩

و ايضاً قال ابن حوقل "ليس بجميع اليمن مدينة لا اكبر و لا اكثر مرافق و أهلاً من صنعاء و فيها كانت ديار ملوك اليمن".^{١٠} و قال ابن فضل الله العمري ايضاً: "صنعاء دار الملك و هي قاعدة ملك اليمن في قديم الزمان و اوقاتها كلها مناسبة الاعتدال لذيدة الهواء و كثيرة الفواكه و هي تشبه بعلبك في الشام لتماها الحسن و حسنهما التمام".^{١١}

انطلاقاً من هذه الاهمية العظيمة لصنعاء اتخذها الداعي علي بن محمد الصليحي حاضرة لدولته؛ فقد أدرك أن هدفه الاكبر المتمثل في وحدة بلاد اليمن لن يتم الا بسيطرته علي صنعاء.

و يشير المؤرخ يحيى بن الحسين الى صنعاء خلال قيام الداعي علي بن محمد الصليحي قائلاً: "و كان على صنعاء أيام الصليحي ابن ابي حاشد و التقيا في وقعة "صوف" فأقتتلوا قتالاً شديداً و كانت الدائرة على صاحب صنعاء ثم سار الصليحي إلى صنعاء

٤. يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد: غاية الاماني في اخبار القطر البستاني، تحقيق

سعيد عبدالفتاح عاشور، جزآن، القاهرة نشر دارالكتاب العربي، ١٣٨٨، ص ٢٤٩.

٥. قرّة العيون باخبار اليمن الميمون، صص ١٧٦-١٧٧ و ايضاً: حسن سليمان محمود، الملكة أروي سيدة ملوك اليمن، نشر دارالثناء للطباعة و النشر، ص ١١.

٦. عصام الدين عبدالرؤف، اليمن في ظل الاسلام، ص ١٤٩.

٧. احمد بن عبدالله بن محمد الرازي: تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق عبدالله العمري،

صنعاء، الطبعة الثالثة، ١٤٠١م، ص ١٨.

٨. الرازي، تاريخ مدينة صنعاء، ص ٢٨.

٩. الهمداني: صفة جزيرة العرب، تحقيق القاضي محمد بن علي الأكواع، صنعاء، مركز الدراسات و البحوث اليمني، ١٤٠٣ هـ، صص ١٠٢-١٠٣.

١٠. ابوالقاسم محمد بن علي بن حوقل البغدادي: صورة الارض، بيروت، نشر دار المكتبة الحية، ١٩٧٩، ص ٤٣.

١١. شهاب الدين بن فضل الله العمري: مسالك الابصار في ممالك الامصار، القسم الخاص بممالك اليمن، تحقيق أيمن فؤاد، القاهرة، ١٣٠١، ص ٦٢.

٤٥٩ هـ/١٠٦٦م^١.

و الجدير بالذكر أن مدينة صنعاء التي أولاهها قادة الدولة الصليحية أهمية و عناية خاصة تشغل مكانة هامة في التاريخ اليمني و كذلك بين المدن اليمنية الكبرى، فهي كما يذكر بعض المؤرخين: إحدى جنان الأرض عند كافة الناس، تقع في السفح الغربي من جبل نغم ملتقى ثلاث قبائل هي بنو الحارث من الشمال و سنحان من الجنوب و بنو مطر من الغرب، و كانت مقسمة إلى أحياء و تعرف بالدروب، و تعرف أحياء صنعاء الآن بأسماء المساجد الواقعة فيها^٢.

و لا شك أن الصُّلَحِيَّين قد أولوا هذه المدينة عناية فائقة على اعتبار أنها كانت مقر الحكم للدولة الصليحية، خاصة و إن صنعاء قبل الصُّلَحِيَّين قد تعاقب عليها عدة دويلات من خلال منازعات طاحنة كما تقدم. فكان لا بد قدر الامكان من العناية بها، خاصة و إن النص الذي ورد في تاريخ صنعاء للرازي و الذي أشرت إليه يفهم منه تلك الحالة السيئة التي كانت عليها آثار هذه المدينة قبل عصر الدولة الصليحية.

غير أن المصادر التاريخية صممت تماماً عن ذكر تفصيلات لحركة الإصلاح العمراني لآثار مدينة صنعاء في عصر الدولة الصليحية باستثناء ما أورد الوصابي في تاريخه المعروف "الوصاب"^٣ و ابن الجاور في تاريخه المعروف "المستبصر"^٤ عن تعمير علي بن محمد الصُّلَحِيَّ للعديد من المساجد داخل و خارج مدينة صنعاء. الصُّلَحِيَّ بمجرد سيطرته على اليمن شرع في اصلاحه فعمر صنعاء الخبرة و عمّر ما تشعث فيها من المساجد و العماائر الدينية فأضفي ذلك عليّة هيبّة وقاراً وكنً من المسلمين على مذاهبهم المختلفة الاحترام و التقدير.

العماائر الدينية و المدنية و العسكرية

١. محمد بن علي الاكواع، اليمن الخضراء، صص ٤٢٩-٤٣٠.

٢. اسماعيل بن علي الاكواع، لحة تاريخية عن صنعاء (الآثار الاسلامية في الوطن العربي)، صنعاء، ١٩٨٠م، ص ٥١.

٣. وجيه الدين الوصابي: تاريخ وصاب الاعتبار في التواريخ و الآثار، تحقيق عبدالله بن محمد الحبشي، صنعاء، نشر مركز الدراسات اليمنية ١٩٧٩م.

٤. ابن الجاور: صفة بلاد اليمن و مكة و بعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر، نشر المدينة دار التنوير، ١٤٠٧هـ.

شهدت بلاد اليمن عامة و صنعاء في عصر الدولة الصليحية عناية خاصة ببناء العماائر الدينية و المدنية و العسكرية كما عكست ذلك اكثر المصادر التاريخية فتجلت عظمة و ثراء عصر الداعي علي بن محمد الصُّلَحِيَّ من خلال تشييد المساجد و مختلف الاماكن. ففي مجال العماائر الدينية كان اهتمامهم واضحاً بإنشاء العديد من المساجد في مناطق مختلفة في بلاد اليمن كما يذكر اكثر المؤرخين ان الداعي علي بن محمد الصُّلَحِيَّ اهتم بالعمارة الدينية اهتماماً يمكن القول معه انها كانت محور اهتمامه الاول من خلال اقوال المؤرخين و قد جاء في تاريخ مدينة صنعاء للرازي ان الامن توطد، و الاحوال استقرت على عهد هذه الدولة، و عمّرت المساجد و اصلح بناؤها و أقيم لها المرافق^٥ و ايضاً قال ابن الجاور في تاريخه: "ان الداعي علي بن محمد الصُّلَحِيَّ إلى جانب تعمير مساجد صنعاء و إصلاحها، و هي مساجد كانت قائمة قبل قيامه بالثورة نجده يشيد مساجد خارج مدينة صنعاء"، و لكن الذي يؤسف له أن المؤرخ ابن الجاور لم يسم هذه المساجد.

بالاضافة إلى إن اهتم الصُّلَحِيَّونَ ايضاً بإنشاء نوع من العماائر الدينية تمثل في المشاهد إلا أنه لم يصلنا في هذه المشاهد غير مشهد الملكة السيدة الحرّة أروى.

يذكر المؤرخ عمارة اليمني: "و انزل المكرم رأس ابيه و عمه و بني مشهداً عليها و قد أدركت مشهد الرأسين"^٦ و يوضح هذا النص بأن مقر مشهد الرأسين في مدينة زبيد حيث أقام الملك المكرم البناء.

و يذكر الباحث حسين الهمداني نقلاً عن عيون الاخبار: "أنّ الملك المكرم قد امر لما بلغ المهجم في ٤٦١هـ/١٠٦٨ بمحمل جثتي والده و عمه عبدالله بن محمد الصُّلَحِيَّ في تابوتين إلى زبيد ثم سار بهما إلى صنعاء فدفنهما إلى يمين الجبانة العامة و أمر ببناء مشهد جامع لهما"^٧.

و هذا النص يوضح لنا أن الملك المكرم بني مشهدين الاول في زبيد عند التخلص من سعيد الاحوال بن نجاح و دفن فيه الرأسين

٥. الرازي، تاريخ مدينة صنعاء، ص ٢٩.

٦. حسين بن فيض الله الهمداني، الصُّلَحِيَّونَ و الحركة الفاطمية في اليمن، القاهرة،

نشر مطبعة الرسالة، ١٩٥٥م، ص ١٣٤.

٧. حسين بن فيض الله الهمداني، الصُّلَحِيَّونَ و الحركة الفاطمية في اليمن، القاهرة،

نشر مطبعة الرسالة، ١٩٥٥م، ص ١٣٤.

هي أحسن مدن اليمن^٤. و انشاء هذه المدينة الواقعة بين صنعاء و عدن كان يشكل ضرورة قصوى للصليحيين خاصة بعد وفاة علي بن محمد الصليحي. وقد ارتأت السيدة بنت أحمد ان تجعل هذه المدينة عاصمة للدولة الصليحية و حاضرة لها بعد أن درست الظروف المحيطة بهذه الدولة فاستبدلت عاصمتها، للتخلص من الاضطرابات السائدة في صنعاء بعد مقتل علي بن محمد الصليحي، فعايشت الأمن الطبيعي والرخاء المادي في احضان جبلة. فأقامت السيدة بنت أحمد بذي جبلة دارالعز الثانية^٥ و كان حائطاً يشتمل على بستان و اشجار كثيرة و هو مطل على النهرين و على دارالعز الاولى التي شيدها عبدالله بن محمد الصليحي سنة ٤٥٨ هـ و بلغ الإزدهال العلمي و الثقافي ذروته في عهد الملكة الحرّة السيدة بنت أحمد و شاعت القصور في التعكر و ذي جبلة^٦ و كان عصرها يمثل قمة إزدهار عصر الدولة الصليحية العمراني^٧.

من المنشآت الهامة أيضاً التي إهتم ببنائها الصليحيون، الطرقات و المنشآت المائية تتمثل في نقل المياه من مسافات بعيدة على قناطر ممتدة.

رغم ان الدهر أتى على هذه القصور و الطرقات في مدينة صنعاء و لم يبقَ من معالمها رسم و لا أثر الا ان عمارة اليمنى بنحده يشير عنها فيما يلي من النص الهام: "و حدثني محمد بن بشاره من اهل صنعاء سنة خمس و ثلاثين و خمسمائه و ذكر أن عمره قد ناهز الثمانين قال إن جميع من بنى داراً صنعاء يبني بأقناض قصور الصليحي و مافي طوبه و احجار و أخشابه"^٨.

اما عن العمارة الحربية في عصر الدولة الصليحية في بلاد اليمن فإنه يمكن القول أن العمارة الحربية قد اسهمت بدور هام في عصر الدولة الصليحية فقد بدأ الأمراء الصليحيون عهدهم ببناء انواع مختلفة من العمارات الحربية فبنوا الحصون و الربط و القلاع و يعتبر

و لذلك سمي "مشهد الرأسين" و المشهد الثاني في صنعاء و دفن فيه الجثتين بعد استخراجهما من المهجم على اعتبار أن صنعاء حاضرة الملكة و مقر اقامته قبل الانتقال إلى ذي جبلة و في رأيي ان الملك المكرم قد نقل الرأسين و الجثتين بعد استخراجهما من المهجم على اعتبار أن صنعاء حاضرة الملكة و مقر اقامته قبل الانتقال إلى ذي جبلة و في رأيي ان الملك المكرم قد نقل الرأسين و الجثتين إلى صنعاء و دفنهما في المشهد الذي بنى في زبيد كان مشهداً رمزياً فقط إكراماً لوالده و عمه و تقديساً لروحهما لأنه من غير المنطقي أن يدفن الرأسين في مشهد و يدفن الجثتين في مشهد آخر، ثم إن زبيد بعيدة و يسكنها الاحباش انصار سعيد الاحوال و جيش بن نجاح أعداء الداعي الصليحي فكيف يأمن على الرأسين من النيش فمن الراجح أن مشهد زبيد كان مشهداً رمزياً أما مشهد بجامع صنعاء فهو الذي دفن فيه الصليحي و أخوه عبدالله بكامل اعضائهما.

والجدير بالذكر ان القصور و عمارات الصليحيين تعرضت للهدم و التعدي و كان من الممكن أن يُكَوَّنَ هذا المشهد الجامع الذي شيده الملك المكرم فكرة واضحة عن عمارة المشاهد المستقلة بذاتها في عصر الدولة الصليحية و يؤكد حسين الهمداني: "ان المشهد الجامع الذي شيده الملك المكرم في صنعاء الجبانه قد عفى المتغلبون الظالمون آثاره و هدموا مناره"^٩.

و في مجال العمارات المدنية، اهتم الصليحيين بانشاء الصور و المعالم العظيمة بمدينة صنعاء، هذه المآثر تكشف عن ازدهار عمران عظيم كما يؤكد على ذلك المؤرخ عمارة اليمني حيث يشير إلى استخدام الصليحيين للحجارة في تشييد قصورهم. و قد أشار إلى هذه القصور الزاهرة المؤرخ اليمني عبدالرحمن بن علي بن الديع (ت ٩٤٤ هـ) فقال: "شيد الصليحي بصنعاء عاصمة ملكه عدة قصور"^{١٠}. و من هذه القصور العظيمة التي بناها الصليحي أسكن فيها ملوك اليمن تحت لواء واحد^{١١}.

و إستمر إهتمام الملك المكرم أحمد بالتعمير و انشاء المدن اليمنية. و من اعظم المدن التي شيدها الصليحيون مدينة الجبلة و

٤. شهاب الدين ابي عبدالله بن ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت، نشر دار صادر، دار بيروت ١٣٧٤-١٣٧٦ هـ ج.٥ صص ١٠٦-١٠٧.

٥. كانت دار العز الاولى المدينة التي شيدها عبدالله بن محمد و اول ما إخطط ذي جبلة عبدالله بن محمد الصليحي انظر ابن الجاور، تاريخ المستبصر، صص ١٦٨-١٦٩. محمد بن علي الأكواع، اليمن الخضراء مهد الحضارة، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ، ص ٨٣.

٦. ياقوت الحموي: المعجم البلدان، ص ٤٧١.

٧. عمارة اليمني: تاريخ اليمن المسمى المفيد، ١٤٢.

٨. عمارة اليمني: تاريخ اليمن المسمى المفيد، ص ١٢٠.

١. حسين الهمداني: الصليحيون، ص ١٣٤.

٢. عبدالرحمن بن علي ابن الديع، بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، تحقيق عبدالله الحيشي، صنعاء، نشر مركز الدراسات اليمنية، ١٩٧٩م، ص ٤٦.

٣. حسن سليمان محمود: الملكة أروى، ص ١١.

محمد الصُّلَحِي. لهذا السبب يتميز هذا العصر بكثرة المساجد و الأماكن الدينية الجميلة و ما ينسب للبناء الصُّلَحِي من فضل في عمارة المساجد في اليمن هو إدخاله العناصر المتعددة و التقاليد الجديدة في بناء المساجد المتمثلة في عنصر المحراب كقطعة فنية جميلة أو البلاطة الوسطى و المآذن المزخرفة البديعة.

فهناك أصول خاصة شيدت على أساسها المساجد اليمنية فشيدت على طراز خاص كما يلاحظ ذلك في الجامع الكبير بصنعاء و أو جامع الجُند و جامع شَبام كوكبان و الجامع الكبير بزَيد و الجامع الكبير في مدينة إب و جامع ذي أشرق و بدأ هذا الطراز في صحن و ظلات أولى في جامع صنعاء ثم تطور بعد ذلك فأصبح عبارة عن صحن مكشوف تحيط به الأروقة.

يذكر باحث عبدالله كامل موسى عبده في كتابه: "الحق أنه عند التعرض لدراسة المساجد اليمنية السابقة لم نجد بها هذا العنصر و اعتقد أن بداية ظهور بلاطة المحراب في المساجد اليمنية كان في عصر الدولة الصُّلَحِيَّة في جامع السيدة بنت أحمد في جبلة".

ذلك وفق ما أورده المؤرخ اليمني الرازي في تاريخه حيث يشير النص التاريخي الذي ذكره عن الجامع الكبير بصنعاء أن المحارب في المساجد اليمنية كان يغلب عليها أن تكون من مادة الجص المزخرف و ذلك قبيل الدولة الصُّلَحِيَّة.

و أيضاً تميزت المساجد الصُّلَحِيَّة بعنصر البلاطة الوسطى (في تخطيط جامع السيدة الحرة بنت أحمد) و كذلك قبة البهو التي تتقدم بلاطة المحارب و بائكة رواق القبلة التي تشرف على الصحن و هذه التقاليد الجديدة و التي تشمل أيضاً المدخل الذي فتح في جدار القبلة إلى جانب ظهور العقود المدببة ذات المركزين و المتطورة عن العقود المدببة السابقة عليها في المساجد اليمنية ثم العقود المدببة التي تقترب كثيراً من العقود الفاطمية في مصر ذات المراكز الأربعة تعد من مميزات العمارة الصُّلَحِيَّة في اليمن.

أما من ناحية تخطيط المسجد فلم يكن للصُّلَحِيَّين طراز معماري خاص بهم و لم تأت مساجدهم بمجديد فمن خلال الوصف السابق، نلاحظ أكثر المساجد الصُّلَحِيَّين خاصة جامع السيدة الحرة بنت أحمد استقى أصوله من طراز المساجد اليمنية السابقة ممثلة في الجامع

الداعي علي بن محمد الصُّلَحِي من أهم المنشئين العظام لتلك العمائر الحربية فقد كانت إنعكاساً للحالة السياسية التي مرت بها الدولة الصُّلَحِيَّة في بداية قيامها. كما قاموا بإصلاح بعض التحصينات و قد ساعدتهم على ذلك طبيعة البلاد الجبلية و حصانيتها الطبيعية، فقد عمر الداعي علي بن محمد الصُّلَحِي حصن مسار و بناه و حصنه و ذلك وقت قيامه بإعلان دولته في عام ٤٣٩ هـ/ ١٠٤٧ م مما كان له أثراً عظيماً في إنتصاراته المتوالية.

بعد نزول الصُّلَحِي من مسار و سيطرته على صنعاء عاصمة لدولته و مقر الملكة رأى أن تحصينها ضرورة وفق ما ذكر المؤرخ ابن الجاور في تاريخه المعروف بتاريخ "المستبصر" فأدارها بسور بالحجر و الجص و ركب عليه سبعة أبواب: باب غمدان ينفذ إلى اليمن و باب دمشق ينفذ إلى مكة و باب خندق الاسفل يخرج السيل، و يسقي الأرض و باب النصر ينفذ إلى جبل نقم و براش؛ و باب شرعة ينفذ إلى بستان السرا و يضيف ابن الجاور مانصه: "أراد الصُّلَحِي إن يبني من زبيد إلى مكة في مرحلة من المراحل رباطاً يذكر بعد موته و لازال يبني إلى أن وصل المهجم".

و يضيف ان الصُّلَحِي اهتم بإنشاء العمائر الحربية في المناطق الأخرى من اليمن كما يؤكد المؤرخ الوصابي باهتمام الصُّلَحِي في إنشاء العمائر العسكرية في وصاب كما جاء في تاريخه المعروف بتاريخ "الوصاب": "أعلم أن الملك علي بن محمد الصُّلَحِي إستولى على جميع اليمن و وصاب و هو الذي أمر بعمارة حصن نعمان و درجه حسن عتمة أيضاً".

هذا النص مهم جداً بسبب ما يؤكد عليه الوصابي و ما ذكره ابن الجاور من تعمير، إصلاح و ما أنشاء علي بن محمد الصُّلَحِي للبلاد اليمنية تحصينه لها.

تطور عمارة المسجد في عصر الدولة الصُّلَحِيَّة:

تشير المصادر التاريخية إلى أن بلاد اليمن كانت قبل الدولة الصُّلَحِيَّة تزدهر بكثرة مساجدها و قد ازدهرت حركة العمارة في اليمن في عهد الصُّلَحِيَّين خاصة علي يد الداعي السلطان علي بن

١. حسين الهمداني: الصُّلَحِيَّون، ص ٧٦.

٢. ابن الجاور: تاريخ المستبصر، صص ١٧٩-١٨٠.

٣. ابن الجاور: تاريخ المستبصر، صص ٧٥.

٤. الوصابي: تاريخ الوصاب، صص ٩٣-٩٤، ١٠٥.

٥. عبدالله كامل موسى عبده: الفاطميون، آثارهم المعمارية في إفريقيا و مصر و اليمن،

القاهرة، دار الافاق العربية، ٢٠٠١م، ص ١٥٢.

٦. انظر: الرازي، تاريخ مدينة صنعاء، صص ٨٥-٨٧.

هذه المقالة دراسة تاريخية و حضارية في مجال عصر الدولة الصليحية وقد تناولت بعض النتائج البارزة من خلال البحث و الدراسة الموضوعية وكما يلي:

اولاً: تبعت بلاد اليمن قبل الدولة الصليحية الخلافة الاسلامية و بشكل عام منذ الخلفاء الراشدين حتى خلافة العباسيين و بعد قيام الداعي علي بن محمد الصليحي و استقراره في صنعاء يعلن استقلالها أوج ازدهارها خلال عصر الداعي علي بن محمد الصليحي و الملك المكرم الملكة السيدة بنت احمد و قد اعتمدت في هذه الدراسة على "سجلات المستنصرية" التي أوضحت العلاقة الودية و الطيبة بين الدعاة و الملوك الصليحيين و الخلفاء الفاطميين. ثانياً: تناولت هذه الدراسة التاريخية أهمية شخصية ملوك الصليحيين و درجة ثقافتهم الدينية و اهتمامهم الكبير بالعمارة و انشاء المدن و المساجد و المشاهد و تحكيم الاستحكامات الحربية في بلاد اليمن.

ثالثاً: و قد تناولت الدراسة في هذه المقالة وجود علاقات ودية و طيبة و قوية بين الدولتين، و قد قام الملك الصليحي في اليمن نائباً عن الخليفة الفاطمي و قد منح الخليفة الفاطمي الألقاب للصليحي تشجيعاً له و اعترافاً بفضله.

رابعاً: كان للعلاقات بين الدولتين الصليحية و الفاطمية ردود فعل على العمارة الدينية في اليمن.

خامساً: شهدت بلاد اليمن خلال عصر الدولة الصليحية نهضة حضارية عظيمة لاهتمام الصليحيين بتعمير و ترميم و اصلاح و انشاء المدن و تشييد العمائر الدينية و الحربية و بالتالي البدء في حركة عمران كبيرة، و كان اختيار مدينة صنعاء حاضرة لدولتهم أهمية خاصة منحت صنعاء مكانة هامة بين المدن اليمنية.

سادساً: و قد تناولت الدراسة التاريخية لعصر الدولة الصليحية توضيح مقومات تطور العمائر الدينية في اليمن من حيث التخطيط و العناصر المعمارية الخاصة بالمساجد و المشاهد كعنصر الزخرفة النباتية و الهندسية و النقوش الكتابية.

المراجع

١. عصام الدين عبدالرؤف: اليمن في ظلل الاسلام منذ فجره حتى قيام دولة بني رسول، دارالفكر العربي، ط ١، ١٩٨٣.
٢. سيف الدين القصير: ابن حوشب و الحركة الفاطمية في اليمن، دمشق، دارالنبيع، ١٩٩٤م.

الكبير بصنعاء و قد بدأ هذا الطراز بصحن مكشوف يحيط به. هذا و قد تميزت المساجد اليمنية بتغطيتها و هي غالباً من سقوف خشبية مسطحة و قد ازدانت هذه السقوف بزخارف متنوعة وفق اسلوب في و صناعي ظهر في اليمن مبكراً.

في الجامع الكبير بصنعاء جاء السقف من الواح خشبية سمكية متقاطعة متشكلة من مساحات صغيرة و مربعة الشكل غنية بالزخارف النباتية و الهندسية.

بالإضافة إلى ذلك اسهمت التكوينات الزخرفية النباتية و الهندسية بدور هام و اساسي في زخرفة و تزيين العمائر و المساجد الاسلامية. و قد استخدم الفنانون التكوينات النباتية و الهندسية على العمائر الدينية في عصر الدولة الصليحية.

تعتبر السقوف الخشبية من اهم مميزات العمارة اليمنية الاسلامية و لهذا السبب كان استخدام العماران اليمني في عصر الدولة الصليحية ايضاً من الاسقف الخشبية في التغطية و وفق أسلوب في و صناعي يعرف بالمصنقات الخشبية.

و في الجامع الكبير بصنعاء جاء السقف من عوارض خشبية سمكية متقاطعة مؤلفة من مساحات صغيرة و مربعة الشكل، كما في جامع شبام كوكبان الغني بالزخارف النباتية و الهندسية^١.

اسهمت التكوينات الزخرفية النباتية بدور هام في زخرفة و تزيين العمائر الاسلامية بسبب ابتعاد الفنان المسلم منذ بداية العصر الاسلامي عن الرسوم الحيوانية و الآدمية على العمائر الدينية.

قد وجدت الزخارف النباتية في سقف الجامع الكبير بصنعاء و جامع شبام كوكبان و جامع و مشهد السيدة بنت أحمد و ايضاً تجلت هذه التكوينات النباتية بالنقش في الجص و تطورت هذه التكوينات البسيطة إلى تكوينات مركبة و عن أسلوب مزج الزخارف الهندسية مع الزخارف النباتية.

جدير بالذكر هو أن تقويم التكوينات الزخرفية الهندسية في بلاد اليمن قبل عصر الدولة الصليحية، خاصة في جامع شبام كوكبان و الجامع الكبير بصنعاء. قد تجلت بشكل بسيطة كالمربعات و المستطيلات و الاشكال المتقاطعة، و لكن في عصر الدولة الصليحية تطورت تلك التكوينات الزخرفية الرائعة و الجميلة.

الخاتمة

١. مصطفى عبدالله شيحة: مدخل إلى العمارة و الفنون الاسلامية، صص ١٤٣-١٤٤.

- الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ.
١٨. عبدالله كامل موسى عبده: الفاطميون، آثارهم المعمارية في إفريقيا و مصر و اليمن، القاهرة، دار الافاق العربية، ٢٠٠١ م.
١٩. مصطفى عبدالله شبيحة: مدخل إلى العمارة و الفنون الاسلامية في الجمهورية العربية اليمنية، القاهرة، ١٤٠٨ هـ.
٢٠. عبدالرحمن ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر و ديوان المبتدا و الخبر في ايام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوى السلطان، بيروت، دارالكتب العلمية، ١٩٩٢، ج ٤.
٢١. ابوالعباس شمس الدين احمد بن محمد ابي بكر بن خلكان، وفيات الاعيان و انباء ابناء الزمان، بيروت، دارصادر، بلا تاريخ، ج ٣.
٢٢. تقى الدين احمد بن علي المقرئ: اتعاظ الحنفاء باخبار الائمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق محمد حلمى محمد احمد القاهرة، ١٩٧١، ج ١.
٢٣. احمد بن عبدالله القلقشندي: صبح الاعشى، شرحه و علق عليه و قابل نصوصه نبيل خالد الخطيب، بيروت لبنان، دارالكتاب العلمية، ١٩٨٧، ج ١٣.
٢٤. قاضى نعمان بن حيون: افتتاح الدعوة، بيروت، دارالاضواء، ١٩٩٦
٣. نجم الدين عمارة بن علي اليمني: تاريخ اليمن المسمى المفيد في اخبار صنعاء و زبيد و شعراء ملوكها و اعيانها و ادبائها، تحقيق القاضي محمد علي الأكواع، نشر مطبعة السعادة، ١٣٩٩ هـ. ق.
٤. ابن الطوير، نزهة المقلتين في اخبار الدولتين، اعاد بناءه و حققه أيمن فؤاد سيد، بيروت، دار صادر، ١٩٩٢.
٥. الهمداني: صفة جزيرة العرب، تحقيق القاضي محمد بن علي الأكواع، صنعاء، مركز الدراسات و البحوث اليمني، ١٤٠٣ هـ.
٦. ابوالقاسم محمد بن علي بن حوقل البغدادي: صورة الارض، بيروت، نشر دار مكتبة الحياة، ١٩٧٩.
٧. شهاب الدين بن فضل الله العمري: مسالك الابصار في ممالك الامصار، القسم الخاص بممالك اليمن، تحقيق أيمن فؤاد، القاهرة، ١٣٠١.
٨. يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد: غاية الاماني في اخبار القطر اليمني، تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور، جزآن، القاهرة، نشر دارالكتاب العربي، ١٣٨٨.
٩. حسن سليمان محمود، الملكة أروى سيدة ملوك اليمن، نشر دارالثناء للطباعة والنشر
١٠. احمد بن عبدالله بن محمد الرازي: تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق عبدالله العمري، صنعاء، الطبعة الثالثة، ١٤٠١ م.
١١. اسماعيل بن علي الأكواع، لحة تاريخية عن صنعاء (الآثار الاسلامية في الوطن العربي)، صنعاء، ١٩٨٠ م.
١٢. وجيه الدين الوصابي: تاريخ وصاب الاعتبار في التواريخ و الآثار، تحقيق عبدالله بن محمد الحبشي، صنعاء، نشر مركز الدراسات اليمنية ١٩٧٩ م.
١٣. ابن الجاور: صفة بلاد اليمن و مكة و بعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر، نشر المدينة دارالتنوير، ١٤٠٧ هـ.
١٤. حسين بن فيض الله الهمداني، الصُّلَحِيَّونَ و الحركة الفاطمية في اليمن، القاهرة، نشر مطبعة الرسالة، ١٩٥٥ م.
١٥. عبدالرحمن بن علي ابن الديبع، بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، تحقيق عبدالله الحبشي، صنعاء نشر مركز الدراسات اليمنية، ١٩٧٩ م.
١٦. شهاب الدين ابي عبدالله بن ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت، نشر دارصادر، داربيروت ١٣٧٤-١٣٧٦ هـ
١٧. محمد بن علي الأكواع، اليمن الخضراء مهد الحضارة،